كلية : التربية الأساسية حديثة

القسم او الفرع : التأريخ

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : م. د. مروان علي مخلف حمد

اسم المادة باللغة العربية : تاريخ المغرب الإسلامي.

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Morocco's lslamic History

اسم المحاضرة الثالثة باللغة العربية : مراحل تحرير المغرب العربي مرحلة البعوث والسرايا والحملات الاستطلاعية (٢٢-٥٠هـ/٦٤٣-٦٧٠م).

اسم المحاضرة الثالثة باللغة الإنكليزية : Stages of liberating the Maghreb: the stage of delegations, companies, and reconnaissance campaigns (22-50 AH/643-670 AD).

مراحل تحرير المغرب العربي

اولاً: مرحلة البعوث والسرايا والحملات الاستطلاعية (٢٢-٥٠هـ/٦٤٣-٦٧٠م):

وتبدأ هذه المرحلة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وبجهود عمرو بن العاص والي مصر، وتنتهي بتولية عقبة بن نافع الفهري ولاية المغرب العربي. فبعد ان تمكن عمرو بن العاص من اتمام تحرير مصر وأنشاء (قاعدة الفسطاط) الى جهة الغرب، وأرسل عمرو بن العاص ابن خالته عقبة بن نافع الفهري على رأس حملة من الفرسان تمكنت من تحرير مدينة برقة ومدينة زويلة، وكانت طبيعة هذه الحملات الاستطلاعية التي قادها عقبة بن نافع الفهري باتجاه هذه المناطق هي الغرض منها لجس مواطن تلك القبائل، لذا كان تقريره الذي رفع الى القائد الاعلى مطمئناً ومشجعاً للتوغل غرباً. لذا قاد عمرو بن العاص القوات العربية سنة (٢١هـ/٦٤٢م)، وزحف من قاعدة الفسطاط بمصر نحو مدينة برقة التي كانت قاعدة لإقليم واسع يحمل هذا الاسم، فدخلها بدون صعوبة تذكر وصالح اهلها على مبلغ من المال مقداره ثلاثة عشر الف دينار، كانوا يبعثون بها الى والي مصر.

ومن برقة تجهز عمرو بن العاص لتحرير مدينة طرابلس، وقد تطلبت الضرورة الى تجهيز قوتين، قوة رئيسية تتخذ الطريق الساحلي وهدفها مدينة طرابلس وما يليها من المدن الساحلية، والقوة الثانية وجهتها المناطق الصحراوية الجنوبية وانيطت واسندت قيادتها الى عقبة بن نافع الفهري لتأمين المناطق الداخلية حتى زويلة ومنعها من القيام من اي عمل من شانه ان يعيق تقدم القوات الساحلية او يهدد خطوط مواصلاتها.

وهكذا سارت العمليات العسكرية في المناطق الساحلية والمناطق الجنوبية، ففي الوقت الذي تمكن به عقبه من تحرير مناطق فزان وزيلة في الجنوب، كان عمروا بن العاص باشر بتحرير اولى مدن اقليم طرابلس، فبدأ بتحرير اجدابية ثم مدينة سرت، ثم مدينة لبدة، واشرف على مدينة طرابلس وكانت مدينة مسورة ومحصنة من جميع الجهات بسور منيع، عدا الجهة الشمالية المطلة على البحر المتوسط، وعندما عجز عمرو بن العاص من دخولها، اكتفى بضرب الحصار عليها لمدة من الزمن حتى تمكنت قوة من الفرسان من اكتشاف فتحة سببتها مياه الجزر من الجهة الغربية ويسمح لدخول القوات منها، ومن هذا المكان تسللت القوات العربية واجتاحت تحصينات الروم وفاجئتها بهجوم صاعق أواخر سنة (٢٢هـ/٦٤٣م)، وسيطرت

على مقاليد الامور في المدينة.

وارسل عمرو بن العاص اثناء حصار مدينة طرابلس قوة من الفرسان اخضعت جبل نفوسة، وتقدمت نحو ودان فأمن اهلها سنة (٢٣هـ/٦٤٣م)، وكان القصد من هذه الحملة هو القضاء على اي محاولة من جانب قبائل نفوسة لنجدة اهل طرابلس.

وبعد هذه الانتصارات التي تحققت استئذن عمرو بن العاص الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالتقدم نحو ولاية افريقية، وكتب اليه: (ان الله فتح علينا طرابلس، وليس بيننا وبين افريقية الا تسعة أيام فأن رأى أمير المؤمنين ان يغزوها ويفتحها الله على يده فعل)، ويضيف ابن عذاري صاحب البيان المغرب نصاً في غاية الاهمية اوقف من خلاله عمرو بن العاص الخليقة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على أحوال البلاد بقولة: (وملوك كثير، وأهلها في عدد عظيم، وأكثر ركوبهم الخيل).

وقد أخبر عمرو بن العاص الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بأحوال البلاد بعد اقليم طرابلس من معلومات عن طبيعة البلاد السياسية والاجتماعية دفعت دار الخلافة الى التريث، وتأجيل التقدم فيما وراء اقليم طرابلس والاكتفاء بما حققته القوات العربية من تأمين حدود مصر الغربية، وعدم المجازفة بأرواح المسلمين، وكذلك ان عمرو بن العاص لا يمكنه التقدم الى قلب المغرب العربي والروم البيزنطيين شوكة في ظهرة، اضافة الى ان تحرير المغرب العربي يحتاج الى أمدادات متواصلة، وجهود كثيفة، وقاعدة امينه تحمي تلك الامدادات وتؤمن لها احتياجاتها، وان هذا لم يتوفر في هذه الفترة فمصر لم تكن استوثقت امورها تماماً للقوات العربية، اذ لا زال خطر الروم البيزنطيين قائماً محاولين استعادة نفوذهم الغابر، ولهذه الاسباب عاد عمرو بن العاص الى مصر، ليشرف على تنظيمها وادرتها مما يجعلها جديرة بقيادة حروب التحرير العربية في بلاد المغرب العربي، بعد ان ترك في برقة حامية عسكرية على رأسها عقبة بن نافع الفهري.

وفي سنة (٢٣هـ/٦٤٣م) توفي الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وتولى الخلافة من بعده عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وقام بعزل عمرو بن العاص من ولاية مصر، وتعين عبد الله بن ابي سرح والياً على مصر سنة (٢٥هـ/٩٤٥م)، واتبع ابن ابي سرح سياسة تقوم على بعث السرايا وباتجاهات مختلفة وكانت هذه السرايا تجوب اطراف افريقية وتعود الى قاعدة انطلاقها في مدينة برقة، ولم يكن هدف تلك السرايا الغنائم والسبي بل هدفها الحقيقي الاستطلاع وجس مواطن العدو وتتبع أخباره، ومعرفة قواه وما يملكه من عده وعدد، ونظراً للتقارير المشجعة لتلك الحملات، قرر ابن ابي سرح استشارة الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) واستئناف حروب التحرير في المغرب العربي وطرد المستعمرين الروم البيزنطيين، وقد

جاءت الموافقة من دار الخلافة مع العمل على اعداد جيش كبير شارك فيه مشاهير رجال العرب والقبائل العربية المحيطة بالمدينة والحجاز، وتجمعت هذه القوات ومن انظم اليها من مصر حتى بلغ عددها العشرين الف مقاتل واطلق على هذا الجيش اسم (جيش العبادلة) أو (غزوة العبادلة) نسبة الى أسماء كبار أبناء الصحابة المشاركين في هذا الجيش.

وقد خرج جيش العبادلة من مصر سنة (٢٧هـ/٦٤٧م)، بقيادة عبد الله ابن ابي سرح، وكان هدفة مدينة سبيطلة عاصمة الروم البيزنطيين، وحاكمهم يومئذ جرجير الذي خلع طاعة الامبراطور هرقل واستقل بحكم المغرب العربي.

وعندما وصلت القوات العربية مدينة برقة (القاعدة) انضمت اليها حاميتها وكانت تحت قيادة عقبة بن نافع الفهري ومن هذه المدينة واصلت القوات زحفها تتقدمها بعض السرايا للفرسان لاستكشاف المناطق الجديدة، وفي منطقة قمونية عسكر الجيش العربي ودارت المفاوضات بين القائد ابن ابي سرح وجرجير المتغلب على افريقية الذي رفض الاسلام او الخضوع لحكم الجزية، معتمداً على قواته التي تبلغ تعدادها المائة والعشرين الف مقاتل، وبدأت المناوشات بين الطرفين سنة (٢٨هـ/٦٤٨م) في مكان اطلق عليه (عقوبة) واستمرت المناوشات اياماً حتى تمكن عبد الله بن ابي سرح من اكتشاف نقاط الضعف في قوات جرجير، وقام بهجوم شديد اخترق صفوف القوات الرومية واجبروها على التراجع وكان من نتيجة ذلك مقتل جرجير ومعظم قادته، وانهزام من تبقى منهم وباتجاهات مختلفة، وتمكنت قوة من الفرسان من صد المنهزمين ومنعهم من دخول مدينة سبيطلة والاعتصام بها وبذلك جردت المدينة الحصينة من المدافعين عنها وسقطت بسهولة. وبسقوط مدينة سبيطلة يعني انهيار الحكم البيزنطي في معظم المناطق التي كانت تحت نفوذ جرجير، وكان واقع هذه الانتصارات شديداً على الغزاة الروم فرعبوا رعباً شديداً فلجأوا الى الحصون والمعاقل، واذن للطاعة رؤساء المدن الافريقية الاخرى مقابل عهود قطعوها، ومبالغ كبيرة من المال دفعوها بلغت الثلاثمائة قنطار من الذهب.

وبعد هذا الانتصار قرر ابن ابي سرح العودة الى مصر والاكتفاء بهذه الضربة التي اصابت نفوذ الروم البيزنطيين في الصميم. وهنا قد يؤخذ على ابن ابي سرح مغادرته المغرب والعودة الى مصر دون ان يتخذ فيها قاعدة متقدمة للقوات العربية او يترك حاميات في المناطق والمدن المحررة، او في تلك التي دخلت في أمانه.

وفي سنة (٣٣هـ/٦٥٣م) عاد عبد الله بن ابي سرح الى افريقية بهدف تأديب الخارجين عن العهد والطاعة، وكانت حملة ذات الصواري البحرية سنة (٣٤هـ/٦٥٤م)، اخر الحملات الكبيرة التي قادها عبد الله بن ابي سرح ضد اسطول الروم البيزنطي، في مياه البحر المتوسط، وتمكن الاسطول العربي من تدمير القوات الرومية بقيادة قسطنطين بن هرقل، اذ كانت حملة الروم من الحملات البحرية الضخمة التي جهزها البيزنطيون واستعدوا لها محاولة منهم لاستعادة ما فقدوه من مناطق نفوذهم.

وبعد القضاء على هذه الحملة لم نجد اي نشاط واسع للقوات العربية البحرية والبرية، وذلك بما لا شك ان احداث الفتنة بمركز الخلافة في الحجاز التي آلت الى استشهاد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، فأنها اضعفت من همم الرجال في مواصلة الفتح لبلاد المغرب العربي، لحين استقرار الاوضاع للدولة الاموية بعد تولية الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة (٤١هـ/٦٦١م)، وقد عمل على أعادة عمرو بن العاص الى ولاية مصر واستمر والياً عليها حتى وفاته سنة (٤٣هـ/٦٦٣م)، وبعد وفاة عمرو بن العاص، فصلت ولاية المغرب عن مصر واصبحت ولاية مرتبطة بمركز الخلافة مباشرةٍ، وتولى أمرها وقيادة جيوشها معاوية بن حديج الكندي، وأوكلت اليه مهمة استئناف العمليات العسكرية ضد معاقل المستعمرين الروم البيزنطيين.

وقد توفرت لابن حديج ظروف مناسبه مكنته من تجهيز قواته وقيادتها سنة (٤٥هـ/٦٦٥م)، مستغلاً الاوضاع السيئة التي احاطت بالغزاة الروم في بلاد المغرب التي لم تكن غائبة عن مسمع ونظر القيادة في مصر او مركز السلطة المركزية في الشام فقد كانت تقارير الحملات الاستطلاعية تشير الى هذا المعنى، فأبن الاثير يصفها بقولة: (كانت ناراً تضطرم)، وابن عذاري يقول: (دخل معاوية بن حديج أفريقية وكانت حرباً كلها). خرج معاوية بن حديج سنة (٤٥هـ/٦٦٥م)، على رأس جيش قوامة عشرة الأف مقاتل وانتهى بقواته بموضع بمنطقة قمونية، وفي هذا المكان وقعت معركة بين القوات العربية وقوات نقفور البيزنطية التي كانت تبلغ تعدادها ثلاثين الف مقاتل اسفرت عن انهزامهم واعتصامهم بمدينة سوسة، وبعد هذا الانتصار تقدم معاوية بن حديج شمالاً وعسكر في موضع مرتفع يقال له القرن او جبل القرن. ومن معسكر القرن بدأ ابن حديج بتجهيز ثلاثة قوات ضد الروم البيزنطيين الاولى: كانت بقيادة عبد الله بن الزبير وهدفها مدينة سوسة اعتصمت بها القوات البيزنطية بقيادة نقفور، والثانية: بقيادة عبد الملك بن مروان لتحرير حصن جلولاء، وحملة ثالثة: قادها عقبة بن نافع الفهري للتوغل جنوباً في المناطق الصحراوية. حيث كانت من نتائج تلك الحملة توطيد السلام العربي ونشر الاسلام بين قبائل المنطقة، وطرد القوات البيزنطية من مدينة

سوسة، وتحرير اهم حصون الدفاع في افريقية وهو حصن جلولاء، اضافة الى تأمين المناطق الصحراوية واعادة السلطة العربية الى ربوعها.

لكن معاوية بن حديج شأنه من شأن عبد الله بن ابي سرح غادر بلاد المغرب الى مصر سنة (٤٧هـ/٦٦٧م)، دون ان يترك نائباً عنه او حامية عربية تقوم بأمر ضبط المدن والقلاع المحررة، وتعتبر حملته هذه آخر الحملات الاستطلاعية الكبرى، حيث ستبدأ بعدها أولى حلقات التحرير المنظم على يد رجل طالت خبرته بأفريقية وأهلها، ذلك هو عقبة بن نافع الفهري الذي بدأ ولايته بتأسيس أول مدينة عربية إسلامية قامت في بلاد المغرب العربي.

وبعد الانتهاء من هذه المرحلة التي اطلق عليها عصر او فترة الاستكشاف التي تبدأ بجهود عمرو بن العاص سنة (٢٢هـ/٦٤٣م)، وتنتهي بولاية معاوية بن حديج الكندي سنة (٤٧هـ/٦٦٧م)، ورغم الانتصارات التي حققتها القوات العربية حتى ذلك الوقت الا ان نتائجها لم تدوم طويلاً بل كانت تلك النتائج مرهونة بوجود القوات العربية في بلاد المغرب، فاذا عادت تلك القوات الى برقة او مصر ارتدت معظم المناطق المحررة عن الولاء والطاعة، لذلك كانت تلك الحملات العسكرية التي توالت على بلاد المغرب مجرد حملات استطلاعية، تطول او تقصر مدتها حسب الاهداف المحددة لها.

لذلك سوف نتناول في المحاضرة القادمة مرحلة التحرير المنظم لبلاد المغرب العربي بتفاصيل وشرح وافٍ ان شاء الله تعالى...

يكمل في المحاضرة القادمة

المصدر: تاريخ المغرب العربي، عبد الواحد ذنون طه، خليل ابراهيم السامرائي، ناطق صالح مطلوب.